

الحلقة السادسة

سلسلة من يقول الناس إنني أنا؟

أنوار كاشفة

شفاء الرجل الأعمى منذ ولادته

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع في لقاء اليوم اليوم حديثنا عن حقيقة شخصية المخلص المسيح، وإن كان هو مجرد نبي كباقي الأنبياء أم شخصية مختلفة؟

وكنا قد بدأنا قبل عدة لقاءات بالتأمل في تصريح المسيح أنه هو القيامة والحياة، الذي أكد أنه هو فعلا ابن الله. وكان المسيح قد أعلن هذا التصريح الهام، عند إقامته للعازر من الموت بعد أن كان له أربعة أيام في القبر. وبعد شفائه للرجل المقعد، أعلن المسيح أن الله الآب قد أعطاه السلطان أيضا، لكي يقيم الأموات ويدينهم. وأن الساعة قد أتت الآن، لكي يسمع الأموات روحيا صوت المسيح الذي هو ابن الله، والسامعون يحيون.

وفي اللقاء الماضي تأملنا بحادثة عدم إدانة المسيح للمرأة الزانية التي أحضرها إليه رؤساء اليهود. وثم تصريحه الهام القائل: أنا هو نور العالم، من يتبعني فلا يمشي في الظلمة بل يكون له نور الحياة. وتبين لنا أن المسيح هو النور الحقيقي الذي أتى لكي يطرد الظلمة من حياة الإنسان، أي لكي يحرره من عبودية الخطية، وليسلك في النور. وأن المسيح بذلك قد حمل صفة هامة من صفات الله الذي هو نور بالكلية.

وفي لقاء اليوم سنتأمل بعجبية أخرى قام بها المخلص المسيح، وما تكشفه عن حقيقة شخصية المسيح. فبينما كان المسيح مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته. فسأله تلاميذه: يا معلم من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى. (بشارة يوحنا الأصحاح التاسع) أجاب المسيح: لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه. ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام الوقت نهاراً. فسيأتي الليل، ولا أحد يقدر أن يعمل فيه. مادمت في العالم فأنا نور العالم.

يعتقد الكثيرون أن حلول مصيبة ما أو كارثة، قد يكون نتيجة لخطية كبرى معينة ارتكبها أحدهم. لكن الحقيقة أن هذه المصيبة لا علاقة لها بأية خطيئة ارتكبت، بل هي نتيجة طبيعية بعد أن ورثنا الخطية عن أبينا آدم. لهذا نجد أن المسيح أجاب تلاميذه عن سؤالهم: من أخطأ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى؟ بتأكيدهم: أن لا أحد أخطأ. لكن لتظهر أعمال الله فيه. فالمسيح موجود، لكي يعمل أعمال الله، لا سيما أنه هو نور العالم الحقيقي.

وعندها قام المخلص المسيح بعمل غريب ولأول مرة، إذ تفل في التراب، وجبل من التفل طينا، ثم وضعه على عيني الأعمى. وقال له: اذهب واغتسل في بركة سلوام. فذهب واغتسل وعاد بصيراً.

حقاً إنها عجيبة تسترعي الانتباه. فلم يشف المسيح الرجل الأعمى كعادته بأن يلمسه ويعيد البصر إليه. بل تفل في التراب، وجبل من التفل طينا، ثم وضعه على عيني الأعمى. فلماذا لجأ المسيح إلى هذه الوسيلة؟ ألا تذكرنا هذه العجيبة بعملية خلق الله للإنسان؟ فبعدما خلق الله السموات والأرض وكل ما فيهما، جبل آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية.

وبتعبير آخر إن المسيح بنقله في التراب وجبله من التفل طينا، ووضع على عيني الأعمى، قام بعملية خلق العينين من جديد. أليس هذا أمراً مدهشاً؟ ومن هو القادر على خلق أي شيء سوى الله تعالى نفسه؟ إن هذا يؤكد أن المسيح هو حقاً كلمة الله الأزلي المتجسد، والذي بواسطته خلق الله الآب العوالم والأكوان. وهو قادر أن يقوم بعملية الخلق هنا على الأرض. ولهذا لم يكن غريباً أن يقيم الموتى وأن يخلق العينين من جديد.

وفعلاً ذهب هذا الأعمى الذي وضع المسيح الطين على عينيه، إلى البركة واغتسل كما قال له المسيح، فعاد بصيراً. لقد أجرى المسيح الأعجوبة، التي أدت إلى إثارة ضجة كبرى في المجتمع من حوله.

لقد أثارت عجيبة المسيح بخلقه العينين من جديد لهذا الأعمى، استغراب واستهجان الجيران الذين تساءلوا فيما إذا كان هو نفسه الأعمى. فأجابهم الأعمى إني أنا هو، وشرح لهم كيف أعاد المسيح البصر إليه بالتفصيل. ثم أخذ هؤلاء إلى رجال الدين من الفريسيين. فعاد الفريسيون وسألوه كيف أبصر، فأخبرهم. ثم عادوا وسألوه ما رأيك أنت فيه مادام قد فتح عينيك؟ فأجابهم إنه نبي. لكنهم رفضوا أن يصدقوا أنه كان أعمى فأبصر. فاستدعوا والديه وسألوهما: أهذا ابنكما المولود أعمى كما تقولان؟ فكيف يبصر الآن؟ أجابهم الوالدان: نعم أن هذا ابننا وأنه ولد أعمى. ولكننا لا نعلم كيف يبصر الآن، إنه بالغ الرشد يجيبكم عن نفسه، فاسألوه.

يبدو واضحاً أن والدي الأعمى خافوا من الفريسيين. ثم استدعى الفريسيون الرجل الذي كان أعمى وقالوا له: أعط مجداً لله، نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطئ. فأجابهم: أخطئ هو، لست أعلم، إنما أعلم شيئاً واحداً: أنني كنت أعمى والآن أبصر. حقاً لقد شهد هذا الرجل عما حصل معه، وبكل جرأة وبساطة ووضوح، أنه كان أعمى وهو الآن يبصر. وهذا مما حدا بالفريسيين لكي يسألوه مرة أخرى: ماذا فعل بك؟ كيف فتح عينيك؟

أجابهم: قد قلت لكم ولم تسمعوا لي. ألعلمكم تريدون أنتم أن تصيروا تلاميذ له؟ فثتموه وقالوا له: بل أنت تلميذه، أما نحن فتلاميذ موسى. نحن نعلم أن موسى كلمه الله أما هذا، فلا نعلم له أصلاً. فأجابهم الرجل: إن في ذلك عجباً! إنه فتح عيني. وتقولون إنكم لا تعلمون له أصلاً. نحن نعلم أن الله لا يستجيب للخاطئين، ولكنه يستمع لمن يتقيه. ولم يُسمع على مدى الأجيال أن أحداً فتح عيني مولود أعمى. فلو لم يكن من الله، لما استطاع أن يعمل شيئاً. فصاحوا به: أنت بكاملك ولدت في الخطيئة وتعلمنا، ثم طردوه خارج المجمع.

وعندها علم المسيح بطرده خارجاً فقصده إليه وسأله: أتؤمن بابن الله؟ أجاب: من هو يا سيد حتى أؤمن به؟ فقال له يسوع المسيح: الذي قد رأيت، والذي يكلمك هو نفسه. فقال: أنا أؤمن يا سيّد. وسجد له. لقد أعلن المسيح لهذا الرجل الذي شفاه حقيقة شخصيته. فوثق به كابن الله وسجد له.

وأنت صديقي هل أدركت حقيقة شخصية المسيح، أنه كلمة الله الأزلي، ابن الله الوحيد، الذي أتى إلى عالمنا لكي ينقذنا نحن البشر الخاطئة، ولينير حياتنا، وليهبنا الغفران والخلود؟ وما هو موقفك من هذه الشخصية الفريدة العجيبة؟ هل تؤمن به وتسجد له؟ فيحررك من ذنوبك وينير حياتك، ويجعلك خليفة روحية جديدة.

أرجو أن تأتي وتكتشف حقيقة شخصية المسيح. وأن لا تكون كأولئك الفريسيين الذين قال لهم المسيح حينئذ: لدينونة أتيت إلى هذا العالم، ليُبصر العميان، ويعمى المبصرون. وعندما سمع بعض الفريسيين ذلك سألوه: وهل نحن أيضاً عميان؟ فأجابهم يسوع المسيح: لو كنتم عمياناً بالفعل، لما كانت عليكم خطيئة. ولكنكم تدعون أنكم تبصرون، ولذلك فإن خطيتكم باقية. لقد أتى المسيح لكي يهب النور لكل من يقر ويعترف أنه أعمى روحياً أي خاطئ. أما الذين يظنون بأنفسهم أنهم مبصرون روحياً، فإن رفضهم للمسيح سيدينهم. إن الذي يعترف أنه أعمى روحياً، فهو لا بد أن يُشفى من الخطيئة، بينما الذي يدّعي البصر سيبقى خاطئاً.

من أي الفريقين أنت صديقي المستمع؟ هل من فريق الذين يظنون أنهم من المبصرين روحياً؟ أم من فريق الذين يعترفون أنهم عميان روحياً وبحاجة إلى خلاص الله؟